

أضواء البيان

@ 497 @ وعليه بيان شيء منه عند قوله تعالى : { وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّٰهُ }

وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } ، بأن مكرهم محاولتهم قتل عيسى ، ومكره إلقاء الشبه ، أي شبه عيسى على غير عيسى . .

وتقدم قوله تعالى : { قَدَّ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَيْلِهِمْ فَأَتَى اللّٰهُ }

بُنْدِيَانَهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوِّقِهِمْ }

وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ } ، وهذا في قصة النمرود ، فكان مكرهم بنيان الصرح ليصعد إلى السماء ، فكان مكره أن تركهم حتى تصاعدوا بالبناء ، فأتى إله بنيانهم من القواعد ، فهدمه عليهم . .

وهكذا الكيد هنا ، إنهم يكيدون للإسلام والمسلمين يريدون ليطفؤوا نور إله بأفواههم ، واللّٰهُ يكيد لهم بالاستدراج حتى يأتي موعد إهلاكهم ، وقد وقع تحقيقه في بدر ، إذ خرجوا محادة إله ولسوله ، وفي خيلائهم ومفاخرتهم وكيد إله لهم أن قتل المؤمنين في أعينهم ، حتى طمعوا في القتال ، وأمطر أرض المعركة ، وهم في أرض سبخة ، والمسلمون في أرض رملية فكان زلماً عليهم وثباتاً للمؤمنين ، ثم أنزل ملائكته لقتالهم . واللّٰهُ تعالى أعلم . { فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمْهَلَهُمْ رُوءَاً } . قال الشيخ رحمة إله تعالى علينا وعليه في دفع إيهام الاضطراب ، ما نصه : هذا الإمهال المذكور هنا ينافيه قوله تعالى : { فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } . . والجواب : أن الإمهال منسوخ بآيات السيف ا ه . .

وهذا ما يفيد كلام الطبري ، وإن لم يصرح به وهو منصوص القرطبي . ولعل في نفس الآية ما يدل على ذلك وهو قوله : { أَمْهَلَهُمْ رُوءَاً } ، لأن رويداً بمعنى قليلاً ، فقد قيد الإمهال بالقلة مما يشعر بمجيء النسخ وأنه ليس نهائياً . وإله تعالى أعلم .